

الحلقة الحادية عشرة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تكلمنا في اللقاء السابق عن مثل رب بيت خرج مع الصباح ليستأجر فعلة لكرمه. ثم خرج عدة مرات خلال النهار واستأجر المزيد من الفعلة. وفي نهاية النهار أعطى الجميع نفس الأجرة. أكد المسيح في هذا المثل على تساوي الجميع في ملكوت الله. وأن عطية نعمة الله بالخلص تشمل الجميع، حتى أكثر الناس شراً. وأن الذي يتوب إلى الله حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، سيحصل على نفس عطية الله بالخلص.

مستمعي الكريم، لعل من أهم واجباتنا الاجتماعية هي الطاعة. فالطفل يتعلم منذ الصغر أن يطيع والديه. وفي المدرسة عليه أن يطيع المعلم وهيئة المدرسين والقوانين التي يضعونها. وفي العمل على الإنسان أن يطيع المسؤولين عنه. وفي الجيش عليه أن يطيع وينفذ الأوامر بكل دقة. إن واجب الطاعة إذن موجود في مجالات عديدة من حياتنا. وعندما نطيع لا نستطيع الادعاء أننا فعلنا شيئاً يجب ان نأخذ مقابله. فمن واجب الطفل أن يطيع والديه، ومن واجب التلميذ أن يطيع معلمه، وكذا الموظف أن يطيع مسؤوليه، والجندي أن يطيع قادته، دون أن يطلب أيّ منهم أجره على طاعته.

هل تعلم مستمعي إن علاقتنا مع الله تعالى تتحكم فيها الطاعة أيضاً؟ إذ علينا أن نطيع الله خالقنا، ووصاياه، وأن نسلك بحسب ما يطلبه منا. وعندما نطيع الله فنحن لم نعمل إلا ما هو واجب علينا. لهذا علينا أن لا نطلب من الله ثمناً لطاعتنا.

حول موضوع الطاعة تحدّث المخلص يسوع المسيح مرّة لتلاميذه بهذا المثل: «وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى، يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعًا وَاتَّكَيْ. بَلْ أَلَا يَقُولُ لَهُ: أَعِدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ، وَتَمْنَطِقْ وَادْخُمْنِي حَتَّى أَكُلَ وَأَشْرَبَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ؟ فَهَلْ لِدُنْكَ الْعَبْدُ فَضْلٌ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ؟ لَا أَظُنُّ. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لِأَنَّنا إِنَّمَا عَمَلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا» (بشارة لوقا ١٧: ٧-١٠).

كانت العادة في المجتمعات القديمة أن يكون لدى رب البيت عبد أو عبيد يخدمونه. وكان على العبد أن يطيع سيده في كل ما يأمره به. ولهذا تساءل المسيح: ألا يطلب رب البيت من عبده عندما يعود من عمله في الحقل، أن يقوم ويعد له العشاء أولاً؟ وبعد أن يخدم سيده يأكل هو. وختم المسيح هذا المثل بأن توجه إلى تلاميذه قائلاً: «كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، (أي ما أمرتم به من الله) فَقُولُوا: إِنَّا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لِأَنَّنا إِنَّمَا عَمَلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا». فالإنسان المؤمن الحقيقي عندما يعمل ما يطلبه منه الله، عليه أن يقر أنه عمل واجبه لا أكثر ولا أقل.

كيف نطبّق هذا المثل على حياتنا اليوم؟ وهل هذا يعني أن الله يطلب منا أن نطيعه ونقوم بواجباتنا الدينية فقط؟ هناك مفهومان للتدين. مفهوم خاطئ يظن أن إرضاء الله ونوال ثوابه يكون عن طريق إطاعة وصاياه، وتنفيذ الواجبات من صلاة وصوم وإحسان وزيارة الأماكن المقدسة. ومفهوم آخر صحيح يقول، أن إرضاء الله يكون بأن يتوب الإنسان أولاً عن خطاياها، ويؤمن بالمخلص المسيح الذي كفر عن ذنوبه على الصليب. وهكذا يهبه الله الغفران عن خطاياها، ويصبح من أولاد الله. وهكذا تأتي إطاعته لله كنتيجة لحصوله على الخلاص، وليس العكس.

أجل مستمعي، إن إطاعتنا لوصايا الله، وقيامنا بواجباتنا الدينية لن يؤدي أبداً إلى نوالنا رضى الله. والسبب لأننا خطاة وبحاجة أولاً لكي يغفر الله خطايانا. وبعد أن ننال الغفران نستطيع أن نطيع الله بتطبيق وصاياه، وعلى رأسها وصية المحبة، والابتعاد عن أفعال الشر. وعندما نقوم بذلك، علينا أن نعلم أننا نؤدي واجبنا كأولاد الله. وأننا لن ننال أية مكافأة بسبب طاعتنا لله. وهذا الذي قصده المخلص المسيح بهذا المثل، عندما طلب من تلاميذه أن يقولوا عندما يطيعون الله، أننا عبيد بطالون. ولدينا في قصة قائد المئة الروماني كرنيليوس أكبر دليل.

فقد كان كرنيليوس رجلاً تقياً، يصلّي إلى الله دائماً، ويصنع حسنات كثيرة. فأرسل الله إليه ملاكاً لكي يبلغه أن صلواته وصدقاته قد صعدت تذكراً أمام الله، وطلب منه أن يستدعي الرسول بطرس. الذي عندما أتى بشره بالمخلص المسيح، الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلّط عليهم إبليس. وكيف أن اليهود قتلوه معلّقين إياه على خشبة الصليب، لكن الله أقامه في اليوم الثالث. وختم الرسول بطرس حديثه عن المخلص المسيح قائلاً: «المعيّن من الله دياناً للأحياء والأموات، والذي يشهد له جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» (أعمال الرسل ١٠: ٤٢-٤٣).

إن تقوى كرنيليوس وصلواته وصدقاته لم تستطع أن تجعل الله يرضى عنه. بل كان عليه أن يتوب عن ذنوبه، ويؤمن بالمخلص المسيح لكي ينال غفران الخطايا. إذن إن القيام بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وإحسان، لن يجعلنا نحظى برضى الله أو حتى نوال غفرانه.

وماذا عنك صديقي؟ هل ما زلت تظن أنك ستحظى برضى الله عن طريق تأديتك للفرائض والواجبات الدينية؟ إن كلمة الله الحيّة تدعوك لكي تتوب أولاً عن ذنوبك ، ثم تؤمن بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب، لكي تنال غفران الخطايا والحياة الأبدية. فهل تراك تفعل؟